احد بطلي «الجنة الان» ممثل محترف يرى ان الامل ما زال موجودا

علي سليمان: مقاومون شاهدوا التصوير فبكوا تأثرا!

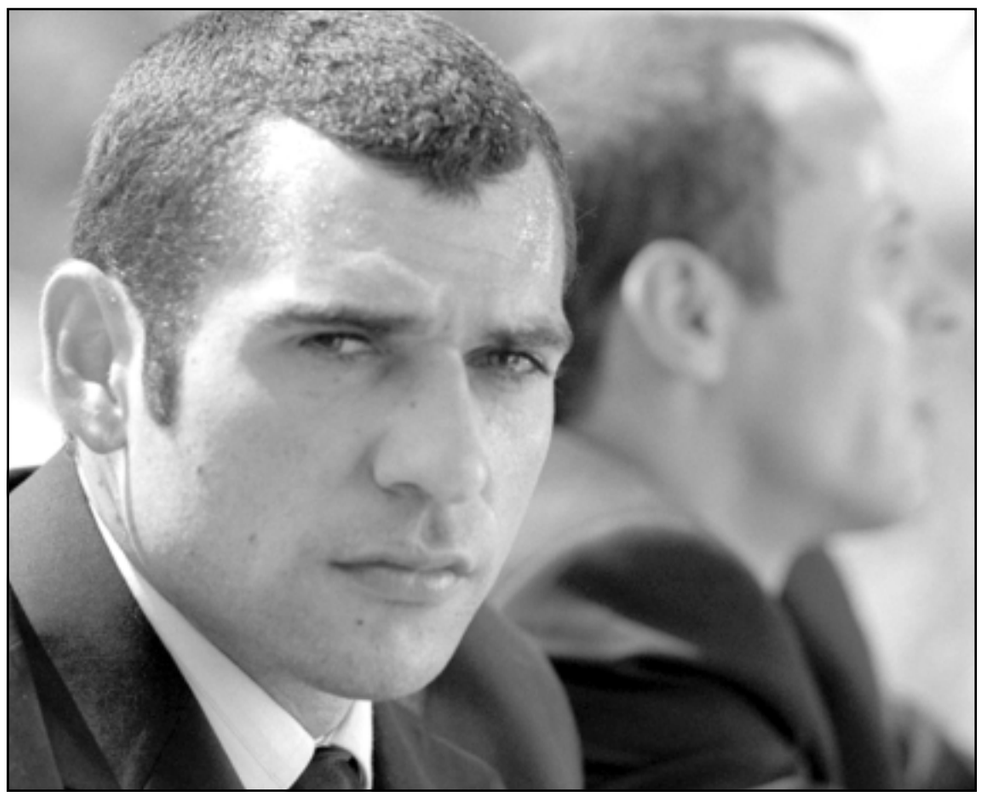

علي سليمان في لقطة من فيلم «الجنة الان»

تونس ـ «القدس العربي»:

ولد هاني أبو أسعد مخرج فيلم «الجنة الآن» الحائز على جائزة الغولدن غلوب في الناصرة، أي أنه فلسطيني من داخل دولة إسرائيل، غربة داخل الغربة، ترك فلسطين في التاسعة عشرة من عمره إلى هولندا لدراسة هندسة الطيران ووقع في حب هولندية، لم تكترث له ففكر أن يصبح مخرجاً لعلها تندم على ذلك، واليوم وقد أصبح معروفاً تتبجح بأنه أحبها لكنها تركته.

ينتمي إلى جيل السينمائيين الذين إتجهوا إلى العمل السينمائي في مرحلة الإنتفاضة الأولى (1987ـ 1993) كأسلوب للتعبير عن واقعه وحياته. كانت أول أعماله سنة 1991 فيلماً وثائقياً قصيراً بعنوان «لمن يهمه الأمر» بالتعاون مع المخرج رشيد مشهراوي، قراءة للموقف الفلسطيني، خلال حرب الخليج، تحصل الفيلم على الجائزة الأولى لأفضل فيلم قصير بمعهد العالم العربي بباريس، لكنه لاقى رد فعل سلبية من مؤيدي الحق الفلسطيني.

فيلمه الثاني «بيت من ورق» عام 1993، تحصل على جائزة أحسن فيلم روائي قصير في بداية الألفية الثالثة سنة 2000، وبمناسبة زيارة البابا لفلسطين، يعود المخرج هاني أبو أسعد بفيلم وثائقي طويل إلى مدينته الناصرة ليحكي حكايتها في فيلم جميل «الناصرة 2000» وأنجز في نفس السنة فيلماً وثائقياً قصيراً «تحت المجهر»، حاول فيه تقصي الأسباب الحقيقية التي دفعت الفلسطينيين لإيقاد شعلة الانتفاضة، وتحديداً مشاركة فلسطيني 48، تلك التي نجم عنها استشهاد 13 شاباً من مدينة الناصرة، والقرى المحيطة بها، كما أظهر خيبة أبو ماريا حالماً بمصافحة البابا خلال زيارته إلى الناصرة، مدينة المسيح الأولى، حيث كنيسة البشارة. وخيبة «أبو عرب» الذي انتقل من عامل محطة للوقود في الناصرة إلى عامل مطعم في المهجر. وأظهر المخرج النزاع حول مقام شهاب الدين حتى كاد أن يتحول إلى صراع ديني، في مدينة الناصرة، فاضحاً دور الشاباك في التحضير والتعزيز لهذا النزاع.

في العام 2002 حقق هاني أبو أسعد أول أفلامه الروائية الطويلة بعنوان «القدس في يوم آخر» أو «عرس رنا» بالتعاون مع وزارة الثقافة الفلسطينية، والفيلم مأخوذ عن قصة الأديبة ليانا بدر يتناول حكاية شابة فلسطينية يضعها والدها بين خيارين لا ثالث لهما: الزواج أو السفر معه خارج البلاد. وتختار رنا الزواج وتبدأ رحلة البحث عن الحب في واقع فلسطيني مثقل بالحصارات، والإغلاق، والحواجز، والمعابر، ومنع التجول..

فيلمه التالي الوثائقي التسجيلي الطويل «فورد ترانزيت»، تناول فيه مرة أخرى موضوع الحواجز والمعابر، من خلال سيارة فورد تنقل الركاب على حواف الحاجز وقد إستضاف المخرج عدد من الشخصيات الفلسطينية البارزة كركاب في السيارة منها الأب عطا الله حنا، والدكتور عزمي بشارة، وحنان عشراوي.. الطريف في الموضوع أن السيارات التي يحكي عنها المخرج كانت تُمنح لتأمين العملاء وتنقلاتهم، لكن بعد انفضاح الموضوع إضطروا إلى بيعها فتحولت إلى وسائط نقل عمومية، وبالتالي فإن عدد سيارات الفورد يدل على عدد العملاء المتداولة، وعبر مسيرة أبو أسعد نلاحظ أن القضية تسكنه ويسكنها، يمتزج واقعه الأليم بأحلام مفتوحة مع شخصيات تعبر عنه، عن حلمه وعن ذاتها، دون تعقيد أو إدعاء أو فلسفة وجودية. وإستخدم هاني الكاميرا لتقديم (الحالة الفلسطينية) من خلال فنيات متنوعة ما بين الفيلم التسجيلي الوثائقي، والروائي القصير، والروائي الطويل، واعتماد أساليب الحوار واللقاء، والمتابعة والمعايشة بشكل يجعل سيناه معرفة وسؤال ومتعة فنية.

أما فيلم الجنة الآن فقد تحصل بعد عرضه العالمي الأول في مهرجان برلين السينمائي الدولي على جائزة أفضل فيلم أوروبي وحصل على جائزة الجمهور، في مهرجان برلين في شباط 2005، وجائزة أفضل فيلم أوروبي، وجائزة منظمة العفو الدولية «أمنستي إنترناشيونال»، وجائزة قراء صحيفة «مورغن بوست»، وقدم عرضه العربي الأول في إطار مهرجان دبي السينمائي الدولي، ثم عرضاً عربياً آخر غير رسمي في إحدى قاعات السينما في تونس، وخلال كل العروض أثار اهتماماً خاصاً بسبب ما يطرحه من قضايا إنسانية متشعبة ومتناقضة. ومن المنتظر أن يشارك في مهرجان دمشق السينمائي الدولي، ومهرجان القاهرة الدولي، المزمع انعقادهما في شهر تشرين الثاني/نوفمبر القادم.. ورداً على الإتهامات التي وجهت للفيلم حول المعالجة بطريقة غربية، صرح المخرج هاني أبو سعد أن هناك تهما جاهزة لكل فيلم، وأن الفيلم فلسطيني يعالج قضية فلسطينية وإن كانت جهات التمويل أجنبية فذلك من باب التشجيع وإحترام فكرة العمل، ويؤكد أن أنه فيلم فلسطيني بحت، السؤال الذي يمكن طرحه : هل كان من الأفضل عدم إنتهاز الفرصة المتاحة وإنجاز الفيلم بشروط عالمية، والوصول بالقضية تفادياً للإنتقادات، فالمعالجة لم تكن غربية أو شرقية، كانت هنالك معالجة مناسبة للمشروع بناءً على ما يطمح إليه موضوع الفيلم. لمن تريد أن تقدمه وكيف ستحقق هذه الغاية. وقد تجاوز المخرج مشكلة تعامل الغربيين مع الموضوع على أساس أنه يثير قدراً من التعاطف مع ما يسمّونهم بالإرهابيين أو المتطرفين، فالحقيقة أن الاستشهاديين ليسوا مدفوعين بالعامل الديني وحده، وهو ليس سوى جانب من جوانب الفعل وليس مصدر الفعل الوحيد، هناك الحقيقة الأولى وهي أن الاحتلال هو الذي يولّد هذا الفعل أساساً، لو أن لفلسطين دولة قائمة من دون ضغوط ومستوطنات في أراضيها وحكومة إسرائيلية متعسفة ولو كانت تعيش في وضع مسالم مع إسرائيل لما كانت هناك حاجة لهذه العمليات، الدافع ليس دينياً، لكن الإيمان بالاستشهاد موجود والعملية الانتحارية في نهاية الأمر هي مجمل عوامل في مقدّمتها الظروف القاهرة التي يعيشها الفلسطيني، تساءل المخرج عن مدى ازدواجية الهوية لدى فلسطينيي 48، وحول إذا ما كان ثمة انفصام في الشخصية لديهم، خاصة في المسافة ما بين حمل الجنسية الإسرائيلية، والانتماء للهوية الفلسطينية، أي ما بين الولاء للدولة، والانتماء للوطن، والمخرج الذي حاول تفحّص الأجيال الفلسطينية، المتتالية، منذ العام 1948، أشار إلى الأجيال المتتالية الذين عايشوا النكبة، وتكيفوا مع نتائجها، جيل الآباء، جيل السكون المتعلّل بمجرد البقاء، باعتبارهم أقلية في وطنهم، أكثر الأقليات سكوناً وخضوعاً بين أيدي محتليهم. وجيل الأبناء والأحفاد، جيل الثورة والتمرّد، جيل الانتفاضة، الذي سيعود إلى لحظة جيل تقديم الشهداء.

وقد عبر المخرج هاني أبو سعد عن إعتزازه بنجاح فيلمه «الجنة الآن» الذي أمضى فترة من الزمن لجمع معلومات مذهلة حول اللحظات التي يشارف فيها الانتحاري على الموت، إنه يعتقد أنه سيموت لكنه لا يموت، معلومات. كشفها له بعد مقابلات عديدة في السجن أشرف برهوم المحامي الذي يدافع عن الاستشهاديين الذين لم تنفجر عبوتهم. ولم يكن يتوقع هاني النجاح الباهر الذي حصل عليه الفيلم، خاصة وأنه يحمل مشروعاً مهماً بالنسبة للقضية الفلسطينية، ثم أن تقوم «وورنر إندبندنت» التي هي جزء من وورنر، أحد الاستديوهات الأمريكية الكبرى بشراء الفيلم ثم الصرف عليه ببذخ وعرضه وزجّه في مسابقتي الغولدن غلوب والأوسكار أمر فريد في تاريخ علاقة هوليوود بالعرب وبالإنتاج العربي. كما كان هناك إقبال نقدي متميز حول الفيلم من الناحية التقنية والموضوعية.

يتحدث (الجنة الآن) عن صديقين هما سعيد (قيس الناشف) وخالد (علي سليمان) وهما صديقان منذ الصغر يعيشان في نابلس، يعملان في كاراج، صاحب الكاراج يطرد خالد من الشغل في صبيحة اليوم الذي جاء فيه أحد (الإخوان) ليزف إلى سعيد بأنه اختير وخالد للقيام بعملية استشهادية داخل إسرائيل يوم غد. كان والد سعيد عميلاً إسرائيلياً تمت تصفيته قبل عشر سنوات، وعندما يسأل سعيد أمه عن حقيقة عمالة والده لإسرائيل، تبرر أمه قائلة: «إن ما فعله كان لأجلنا». أما والد خالد فقد قطع الإسرائيليون إحدى ساقيه (يقول خالد: سألوه أي ساق تختار) العالم يكتفي بالمشاهدة ونحن نموت.هذا مايقوله سعيد لسهى الفتاة التي يحبها صمتاً والتي تحاول منذ أن إكتشفت منعه عن القيام بالعملية الإنتحارية، هي أيضاً إبنة شهيد بشهر ضمن القضية «أبو عزام» لكنها ولدت في فرنسا وتربت في المغرب، فتاة واثقة من ذاتها، ومن ثقافتها، ومواقفها، ورؤيتها، تجاه الحياة والواقع، والاحتلال، والكفاح، والفيلم ينطلق من مشاهد عودتها للوطن منذ المشهد الأول نراها تبارز الجندي الإسرائيلي بالنظر دون أن ترتعش شفرة من عينها . تركز الكاميرا على أصابع اليهودي تتلاعب ببطاقة الهوية، يفتش الحقيبة بلؤم،وبندقية مدلاة على الكتف، وأخرى مصوبة إلى الصدغ، والعيون تتعارك بنظرات صامتة، وإيماءات آمرة، تسمح دون حماس بالمرور، عبور الحاجز، والطريق إلى نابلس، تعود سها ضمن العائدين إثر اتفاقيات أوسلو، وبالتالي صار من الواجب عليها المرور بين أصابع جند الاحتلال، ومعابرهم.. «عائدة» إلى الوطن الفلسطيني، بعد سنوات من المنفى، قضيتها قضية وعي لا علاقة لها مع مشاعر التراجيديا الفلسطينية كونها غريبة يجعل نظرتها إلى الأمور والى حد بعيد خارجية، لكنها نظرة ثالثة، عين أخرى للنظر إلى الوضع من زاويتين: إنها تدرك معاناة الفلسطيني لكنها ترفض العمليات الاستشهادية مهما كان الأمر والدور تؤديه الممثلة المغربية لبنى الزبال، يحمل النصف الأول من الفيلم إيقاعاً هادئاً روتينياً وكأن لا حياة فيه وهل للفلسطيني في تلك الحدود المغلقة حياة؟

هذا الجزء من الفيلم يعكس معضلة إنسانية تنجح ـ إلى جانب رسم الشخصيات كلها ـ في تقديم الرجلين بمنظور غير عدائي وفتح نوافذ اجتماعية وإنسانية، ليس صحيحاً أن المنتحر بتفجير نفسه إنسان مولع بالعنف والموت والإرهاب، بل هو إنسان محروم ومظلوم ومضطهد ويعيش في فقر في كنف عائلة يكفيها ما فيها، في اليوم التالي تتعرض العملية للفشل قبل أن تبدأ عندما تكتشف إحدى الدوريات المتسللين، فيهرب سعيد في اتجاه وخالد في اتجاه آخر، القيادة في المنظمة (التي تبقى بلا اسم) ترتاب في سعيد كونه لم يعد إلى نابلس، بل اختفى وتمنح خالد لآخر اليوم حتى يجده ويحضره، فينطلق هذا في كل اتجاه بحثاً عنه، خلالها تكون سهى قد اكتشفت حقيقة ما كان سعيد على أهبة القيام به، حين تلقاه ليلاً، والمتفجرات ما زالت تحيط بجسده، تحاول ردعه عن القيام بالمهمة، لكن لا يستجيب، بعض قراره يعود إلى محاولته مسح الإهانة اللاصقة به والناتجة عن كون أبيه عمل مخبراً لصالح القوّات الإسرائيلية. إنه يريد أن يصبح بيته بيت الشهيد لا بيت العميل وأمه أم الشهيد لا زوجة العميل.

الشخصيتان الرئيسيتان في الحكاية هما الأكثر نجاحاً في تجسيد المطلوب وحمل عبء تحريك الشخصيات والحالات بأسرها في أكثر من مرحلة رغم مايحملانه من تناقض وتكامل في مناخ متباين عبر تمثيل رائع لشخصيات مرسومة بدقة

وبعد تقديم فيلم «الجنة الآن» في عرض خاص بدعوة من الجامعة التونسية لنوادي السينما والجمعية التونسية للنهوض بالنقد السينمائي بمعاونة سفارة هولندا ومؤسسة جوته الألمانية في تونس، إلتقينا علي سليمان الذي حضر مع قيس الناشف لتقديم الفيلم.

■ كيف تم إختيارك لبطولة الفيلم؟

■ أنا من الناصرة بلدة المخرج، وقع إختياري من بين 150 شابا شاركوا في جلسات إستماع.

■ أكانت لك تجربة فنية قبل العمل؟

■ أنا ممثل محترف، عملت مع مسرح الحكواتي، مثلت في عدة أفلام وربما إختارني المخرج لأني أقرب للشخصية الملائمة للدور وحاولت الإضافة من عندي.

■ هل هناك مجال للمسرح في الأرض المحتلة؟

■ هناك أعمال مسرحية محلية عربية وعالمية، هناك مسرح لكن لا يوجد جمهور، ليست هناك حضارة مسرحية والوضع لا يساعد على ممارسة ثقافة مسرحية، ثم المسلسلات تطغي على كل ثقافة مسرحية أو أخرى

■ كيف تعاملت مع دورك في الفيلم؟

■ تعاملت في البداية مع الدور ببعد كبير، أنا في الثامنة عشرة من العمر لم أعش الحصار ولا الإنتفاضة، وكنت أعيش في نابلس، والتصوير في الكاراج تم في نابلس، كنا نأتي كل صباح تحت الحصار وتحت تهديد الموت، وخلال تلك الأيام توصلت إلى فسيفساء تركيبة الشخصية، ربما لو صور الفيلم في الناصرة لكانت النتيجة مختلفة، لكن هناك في نابلس كان الصدق مهما جداً لأن المكان والزمان يبرزان الحقيقة، تم التصوير في نفس الأماكن التي قام فيها بعض الإستشهاديين بتحضير عملياتهم الإنتحارية، المكان الذي قرأنا فيه الوصية الأخيرة هو مكان لعمليات جرت هناك، عندما إنتهيت من قراءة الوصية كان هناك مقاومون يتفرجون وراء الكاميرا بكوا تأثراً، مما جعلني أعطي للدور إضافة كانت صادقة ونابعة من الداخل، دام التصوير في نابلس ثلاثة شهور في ظروف صعبة محفوفة بالأخطار، وكأننا في جهنم ثم خرجنا إلى تل أبيب وكأنه خروج من جهنم إلى الجنة، كان الفرق مريعاً إلى حد أن شعوراً خفياً راودني بالرغبة في تفجير نفسي، تجربتنا في التصوير كانت أن نكون أو لا نكون، النفسيات والمواقف في نابلس متشعبة، هناك إتجاهات معينة وسياسات مختلفة، فكر البعض أن الفيلم ضد القضية، حتى أنه في إحدى المرات تم إختطاف مدير التصوير لتوقيف الفيلم، ظننا في البدء أن الخاطفين ينتمون إلى جهة سياسية، لكن كانوا فقط مجموعة هامشية قررت توقيف الفيلم ظناً أنه يسيء إلى القضية، وهناك أيضاً قسم كبير من الفنيين خافوا وعادوا إلى ألمانيا. كان هناك خيار إما أن نوقف الفيلم أو نكمله، فتم الإتفاق أن نكمل الفيلم أو نموت.

■ وكأن نظرة مختلفة تبلورت من خلال الفيلم؟

■ طبعاً تبلورت نظرة للواقع الفلسطيني المرير، تعجز الكلمات عن وصف واقع المرارة واليأس، الحياة ليست حياة ليس لها أي علاقة بأي نوع من الحياة، كنا نسمع عن الإستشهاديين، وأنا ضد العمليات ومازلت، لكن أصبحت أكثر تفهماً لحالة الوضع، الشعب داخل فلسطين يعاني ما لا يمكن أن نتصوره، هناك خلل في تصرف وتفكير الإحتلال، خلل غير إنساني أدى إلى خلل في المخ لدى الإنسان الفلسطيني، هناك إقناع بالذات، إقناع بالوجود، يفرح الفلسطيني بالموت كي يواجه الحياة، يوهم نفسه أن هذا التصرف بطولي وإن تسبب له بخسارة أكبر من تحقيق المصالح الفلسطينية.

■ كيف كان الرد على الفيلم؟

■ كانت هناك ردود مشتتة، هناك من أحب الفيلم وآخرون رفضوه، الأغلبية كانت مع الفيلم، ياسر عبد ربه مثلاً أعجب كثيراً بالفيلم وهنأنا على العمل. العرض في دبي لاقى نجاحاً باهراً رغم تخوف مدير المهرجان في البداية لأن الفيلم كان فيلم الإفتتاح، لكن ردود الفعل كانت رائعة، وقدمه وزير الإعلام في عرض خاص، وكان متشجعاً ومشجعاً وعرض إمكانية المساعدة لتوزيع الفيلم. وفي تونس لاقى الفيلم نجاحاً، وكانت الردود مختلفة، وفي إعتقادي أن ردود فعل مختلفة هي تقييم إيجابي للعمل، لا يكفي أن يكون هناك تسويق أو تعليق حول الفيلم، في تونس نظم لقاء للحديث حول الفيلم وطرح نقاش بهذا الشكل يعتبر نجاحاً، كان لكل شخص نظرة وقراءة مختلفة وهذا المهم.

■ هل كنت تتوقع نجاح الفيلم عالمياً بهذا الشكل؟

■ لم أكن أبداً أتوقع هذا النجاح، توقعت السجون توقعت مصيبة لأنها كانت المرة الأولى التي يتطرق إلى هذا الموضوع بهذه الجرأة، كان الحديث عن العمليات الإستشهادية والمشاهد تعرض دائماً بعد العملية لا أثنائها أو قبلها، مناظر الموت وطريقة تقديمها هي التي نشاهدها على شاشات التلفزيون، من خلال الحديث مع هاني لم أعد أبالي بالخطر، كان هدفي النجاح في تقديم ما يحمله العمل من معان، ولحسن الحظ كان النجاح شاملاً، الشغل كان مضبوطا بشكل سينمائي راق، تحضير العمل السينمائي قبل العمل أهم من الموضوع، لأن الصيغة السينمائية إستطاعت بطريقة سلسة حساسة دون عنف أو دم إيصال ما يريد المخرج إيصاله.

■ أهذا سبب عدم وجود موسيقى في الفيلم؟

■ وضعت الموسيقى للفيلم لكن هاني لم يستعملها، القصة قوية والحكمة في الإختيار، لم يكن بحاجة أن يدخل المتفرج عنفاً إلى الموضوع، أحس أن الموضوع حساس والتسلسل درامي، وليسا بحاجة لتأثير عاطفي.

عندما يتناول خالد وسعيد العشاء الأخير مع عائلة الأول، ويبدو عليهما كما لو كانا خالي الوفاض من أي قرار مهم أو فعل كبير، يجمعان من المشاهد ذلك التعاطف المطلوب، ومشاهد صباح اليوم التالي حين تقوم المنظمة بغسلهما وتهيئتهما للعملية تواصل تقديمهما لهما إنسانياً بينما عقول وأعين المشاهدين متركّزة على صورة جديدة غير متوفرة لدى الوكالات وأجهزة الإعلام الغربية، التركيبة الدرامية لهاتين الشخصيتين لا تزال مثيرة للتعاطف وللاهتمام. وعندما يبدأ أحدهما بقراءة سور من القرآن الكريم ثم يتوقف ليقدم خطبة قصيرة أمام كاميرا الفيديو يعلن بها عن دواعيه لا يمكن للمرء إلا أن يتجاوب جدلياً مع تلك الدواعي، هذا إذا لم تدفعه لفهمها وقبول المفهوم الذي تنطلق منه، هناك إيقاع داخلي لسعيد وخالد خلق توتراً حقيقياً لا يحتاج لموسيقى تساعد على الدخول إلى الجو.

■ لا نعرف في النهاية من سيفجّر نفسه وهل سيتم التفجير؟

■ لا نعرف في النهاية من سيفجّر نفسه ومتى وأين؟ وما إذا كان أحدنا سيتراجع أم لا، الفيلم ليس فيلم مغامرات رغم إيقاعه التشويقي، هو حكاية، حكاية إنسان، الإنسان الفلسطيني ضمن وضعه الاجتماعي والسياسي الذي يفرز تحت عبء الطغيان ذلك التوجه المتطرّف، ربما كانت غاية المخرج تحقيق فيلم لا يريد إدانة أي طرف، لكن الحقيقة أن الطرف المُدان طوال الوقت، وكما كان الحال مع فيلمه الأول «عرس رنا» هو إسرائيل وقمعها واحتلالها الأراضي وهدم البيوت وتشريد العائلات وخداعها للعالم وجعل الحياة الآمنة والرغيدة مستحيلة أمام الفلسطينيين، وهو طرف مدان حين النظر إلى الصورة المقابلة على الأرض الفلسطينية، حيث الأفق المسدود، والحياة تتنفس بأقل قدر من الهواء، وأسباب العيش الآمن ليست متوفرة، حيث البحث عن الكرامة المنهوبة ومحاولة رد العنف المستتر بعنف ظاهر هو الدافع للعمليات الاستشهادية قبل غيره.

■ رغم الإحساس بالأرض، الفيلم يكشف نوعا من الغربة داخل الأرض؟

■ عايشت الغربة بشكل مختلف خارج فلسطين، لكننا نعيش غربة داخل دولتنا، هناك بعد جغرافي ورسمي بين الفلسطينيين، بين الفلسطيني داخل إسرائيل والفلسطينيين، بين الفلسطيني المسجل والفلسطيني غير المسجل، بين الفلسطيني بأوراق إسرائيلية والفلسطيني بدون أوراق، الصهاينة يتوجهون نحو الضعفاء لإستغلالهم، نحن أيضاً نعتبر عملاء لأننا نحمل جوازا إسرائيليا، ليس بإختيارنا أو محض إرادتنا، لكن العالم العربي يعتبرها عمالة أو خيانة، ويتغاضى عن الخيانات العظمى في حق الشعب الفلسطيني داخل فلسطين، نحن نحمل الجنسية الإسرائيلية، لكن لدينا خللاً في الهوية، لدينا أوراق بغير حقوق، لا حق في جهاز التربية الإسرائيلي من ناحية، وليس هناك جهاز تعليمي أو ثقافي فلسطيني أو منهج عربي من ناحية أخرى، ممنوع الإندماج بالثقافة الإسرائيلية رغم الأوراق، هناك أستاذ يهودي للعرب يدرس بطريقة خاصة، هناك محاولة لبناء عرب فلسطين تميز بالأرقام، صرنا أرقاماً، فلسطيني 48. فلسطيني 67. لم نعد شعباً نحن أرقام حسب السنوات المقررة من طرف إسرائيل.

■ في إعتقادك هل مازال هناك أمل في القضية؟ وإلى أي مدى استطاع هذا الفيلم النجاح فيما يريده؟

■ أكيد هناك أمل في القضية وإلا لما عملنا لا سينما ولا مسرحا.. ولا عشنا حياتنا، الكلمة.. المسرح.. السينما هي السلاح، هم النضال، في وقت تخفق فيه السياسات العربية أو تندمج تحت سياسات أخرى، يأتي هذا الفيلم ليؤكد أن السينما، كإحدى أهم الممارسات الثقافية في العالم بأسره، ما زالت قادرة على أن تحقق ما لا يمكن أن تحققه السياسة العربية من نجاح، وقد إستطاع فيلم هاني أبو اسعد «الجنة الآن» النجاح فيما يريده لأنه يطرح كيف أصبح الطغيان مشروعاً والمحتل ضحية.

التقته: رشأ التونسي

■ ملاحظة: لم يشارك الممثل قيس الناشف في الحوار لأنه يعتقد أن وجوده داخل الموضوع بشكل عميق يمنعه من الحديث عنه. فهو مولود في ألمانيا من أم ألمانية وأب فلسطيني ويعيش في تل أبيب. لكنه بعد السؤال أظهر بعض الإرتياح لأن الحوار موجه لـ«القدس العربي».

فضائيات

بوتفليقة رئيس تحرير وكالة الانباء الجزائرية ومبارك رئيس المنتخب المصري لكرة القدم!

توفيق رباحي*

■ «التلفزيون الجزائري يعيش حالة افلاس».. هذا ما يقوله بعض الكتبجية والجورنلجية في الجزائر.

حجتهم ان مرض الرئيس بوتفليقة وخلوده الى الراحة فرضا على التلفزيون كثيرا من اوقات الفراغ كان الرئيس يملؤها بنشاطاته واسفاره وكذلك خطبه الكثيرة والطويلة.

وسخر صحافي معروف من زملائه الصحافيين قائلا ان الصحافة هي الاخرى وجدت نفسها في حالة عجز عن تعبئة الفراغ (لم يقل هل تعاني جريدته من نفس الفراغ ام لا)، وان الرئيس هو الذي يستحق لقب «الصحافي الاول في البلاد» لا رؤساء التحرير وكتّاب الافتتاحيات.

هذا الكلام صحيح مئة في المئة، فالرئيس هو «اللاعب» الاول في البلاد، واخباره تطغى على كل شيء حتى انه مرة سأل صحافية اين تعمل فقالت «وكالة الانباء الجزائرية» فرد مازحا (على ما يبدو) قائلا «انا هو رئيس تحرير وكالة الانباء الجزائرية». وحتى ان مدير التلفزيون سئل مرة عن هيمنة اخبار الرئيس في نشرات الاخبار المتلفزة فرد بثقة ان الرئيس «هو الحكم والمعارضة» وانه «الوحيد الذي ينشط/يعمل» (عندما يتحرك خصوم الرئيس او المغردون خارج سرب النظام، تتم مقاطعتهم، وفي احسن الاحوال التعاطي معهم بحسابات اقرب الى اللؤم، ورغم ذلك يعطي المدير الانطباع بأن الاخرين هم المقصّرون).

لكن ان يكون الكلام صحيحا لا يعني ان ما يحدث هو المطلوب او ما يجب ان يكون. ان يعمل الرئيس كثيرا او يسافر اكثر، فهذا شأنه، وقد يكون فيه خير، لكن ان يكون من ثمار وتبعات هذا العمل والاسفار نشرات اخبار مدتها 60 و70 دقيقة، فهذا وضع غير صحي.

المحبذ المتمثل في نشرة اخبار مدتها عشرين او خمسا وعشرين دقيقة، ورئيس دولة لا يظهر الا عند الضرورة، حالة اصبحت لا تعجب الكتبجية الجزائريين وتثير شكواهم.

وغياب رئيس دولة عن نشرة اخبار لتعود الى رشدها (رغم ان صور بوتفليقة واخبار برقيات التعازي والتهاني لنظرائه في القارات الخمس تستمر متدفقة يوميا مثل الشلال) اصبح مشكلة ايضا.

وهناك من يضيف ان رقعة الفراغ والمعاناة في البث اتسعت منذ اوقفت ادارة التلفزيون بث برنامج «ستار اكاديمي» بضغط من الملالي الجدد الذين قالوا ان الرئيس هو الذي أمر بوقف بث البرنامج (هنيئا للجزائر على هذا الكمال).

بغض النظر عن هذا النقاش، المشكلة اعمق بالجزائر لانها بلد ليس فيه الا تلفزيون واحد ظل، منذ الازل، ملكا للسلطة تستعمله لاغراضها الدعائية والسياسية.

هناك قانون اعلام صوّت عليه البرلمان في 1990 يتيح حرية انشاء مؤسسات اعلامية. وقد اتاح انشاء عشرات، بل مئات الصحف والمطبوعات، لكن عندما يتعلق الامر بالاعلام الاذاعي والتلفزيوني، تنتصب علامة «قف» و«ممنوع». والحجة، طبعا، هي الحفاظ على الوحدة الوطنية والمصالح العليا للبلاد وغيره من مثل هذا الكلام المعلّب الذي لم يعد ينطلي على احد.

اقول هذا الكلام متذكرا العراق الذي انتقل من نظام متسلط الى احتلال متسلط وبه اليوم بين 15 و20 قناة تلفزيونية خاصة بين فضائية ومحلية، مهما قيل عن مساوئها وظروف نشأتها. ومتذكرا فلسطين (سموها دولة، حارة، سلطة او اي شيء اخر) بها ما يزيد عن عشر قنوات تلفزيونية، بغض النظر عن السلبيات التي تقال عنها ايضا.

وبدل ان يشتكي الكتبجية والجورنلجية من الوضع الجزائري الشاذ، راحوا يشهّرون بعجزهم عن ملء صفحاتهم لان الرئيس قلل من الحركة لاسباب قاهرة.

اختفاء شارون وظهوره

■ كنت ظهر الجمعة بصدد سؤال اصدقاء وزملاء عن اخر مرة سمعوا اخبارا تلفزيونية، او حتى مطبوعة، عن اربيل شارون حتى نزلت اخبار من مستشفى هاداسا تقول انه «رجل في القبر واخرى في الارض»، كما يقول المثل الجزائري، فأفسدت علي ما كنت سأكتبه براحة في هذا السياق.

عموما، اختفت اخباره فجأة حتى لكأنه انقرض. صحيح ان اخبار فوز حماس بالانتخابات النيابية واحداثا اخرى غطت عليه، لكن انقطاع اخباره بصفة مفاجئة يطرح علامات استفهام حول مصادر الاخبار وادارتها ونصيبنا منها. اكثر من ذلك يطرح سؤالا اكبر: هل نستهلك ما نريد (من اخبار) ام ما يقرر اخرون تسويقه لنا؟

ذلك ان خبر شفاء شارون، مثل موته، مثل بقائه بالمستشفى، مثل خروجه منه، لا يقل اهمية عن خبر فوز حماس. ألم يقولوا لنا (بما في ذلك سيادة الريّس حسني مبارك) انه (شارون) هو السلام، وقال اخرون ان بعده الطوفان؟

فوز حماس و(هلاك) شارون خبران متساويان من حيث الاهمية، لولا ان الاعلام الاسرائيلي، الذي احتكر اخبار شارون عقب ادخاله المستشفى وظل المصدر الرئيسي للاخبار، قرر ان اخبار انتصار حماس اهم بكثير فقرر توجيه العالم وجهة اخرى تقوم كلها حول حماس وما سيخلفه فوزها من آثار على اسرائيل والفلسطينيين.

وليس مستبعدا ان يكون صمت الاعلام الاسرائيلي تم باتفاق ما مع مكتب رئيس الوزراء ومحيط شارون.

وبناءً عليه اختفى شارون نهائيا من الشاشات، صورة وشكلا، فرحنا كلنا ضحية هذا «التقفيل».

هل سنمضي في تصديق اكذوبة ان العالم اصبح قرية صغيرة تنساب فيها الاخبار والصور مثل انسياب الهواء (وفيروس «اتش5 ان1» مع اسراب الطيور المهاجرة)؟ انه فعلا قرية، لكن لا اخبار الا ما يراد لنا ان نرى ونسمع ونشاهد.

مسجّل الأهداف

■ «العربية» تحوّلت الى قناة مصرية وهي تحلل فوز مصر بكأس امم افريقيا وتعلّق عليها. صحيح ان الفرحة مع المنتخب المصري تصبح في مثل هذه المواقف واجبا قوميا ـ عروبيا (اذا بقي لهذين المفهومين مكان بين اصحابهما)، لكن ان تركز «العربية» على مقاطع وصور وتعليقات يرد فيها اسم الرئيس حسني مبارك باستمرار، فهذا يضعها في نفس مرتبة القنوات المصرية (وهذه انصحكم بقراءة ما يقوله فيها اسبوعيا زميلي بهذه الزاوية سليم عزوز) التي، لو سلّمنا بمنطقها، فالرئيس مبارك هو الذي لعب المباريات، والسيدة حرمه المصون هي التي سجلت الاهداف. اما جمال وعلاء، فلولا كرمهما لما وُجد هذا الفريق من اساسه!

«راشا توداي» بالعربية

■ اكرم خزاااااام، «الجزيييره»، موسكوووو.. هو مدير القناة العربية التي تنوي روسيا اطلاقها وتكون شقيقة «راشا توداي» («روسيا اليوم») الناطقة باللغة الانكليزية التي بدأت البث قبل شهرين. وتملك الدولة الروسية برئاسة الـ(...) فلاديمير بوتين هذه القناة وتمولها وتدير شؤونها.

طبعا، لا حاجة لتفكير كثير لأن «مَن في بطنه تبن يخاف النار»، فروسيا تهدف الى تحسين صورتها في الخارج وبالذات عند العرب، مثلما فعلت امريكا وستعمل فرنسا.. كأن الامور عفنة وتحتاج لتنظيف ومطهرات.

لكن يا له من حظ! كله بسببنا (او بفضلنا). يبدو اننا لا نرى الا العفن او ان عفن الاخرين لا يمتد الا نحونا، والا ما تفسير اننا مستهدفون من الجميع، من امريكا التي اطلقت «الحرة» بالعربية، الى فرنسا التي تعتزم اطلاق قناتها الاخبارية الدولية بعدة لغات بينها العربية، والان روسيا. وسمعت ان قريبا جمايكا تعتزم اطلاق قناة لانها تخشى تدهور صورتها بين بني العربان هي الاخرى.

يا أمة قرفت من مصائبها الامم!

يستاهلوا!

■ يبدو ان دولة الامارات رفضت تجديد ترخيص البث لقناة «الفيحاء» العراقية. لن اقول «يستاهلوا» واللهم لا شماتة، لكن قناة تقسّم العراقيين الى فئتين، «آل البيت» و«اتباع معاوية واليزيد» تستحق ان يسألها احد «استني شوية.. وين رايحة؟».

---

* كاتب من اسرة «القدس العربي»
toufik@alquds.co.uk

وارضيات

لم تشعر بالحزن عندما طلقت بل بالتبلد
أصالة: تجربتي في الزواج فاشلة جدا واموالي ذهبت كلها وابدأ حياتي من الصفر

اصالة

القاهرة ـ «القدس العربي»
ـ من محمد عاطف:

اكدت المطربة اصالة انها حصلت على الطلاق من زوجها ايمن الذهبي، وذلك بعد زيارتها الاراضي الحجازية وادائها لمناسك العمرة ودعائها الى الله ليساعدها في حل ازمتها العائلية.

قالت اصالة: جاء طلاقي قبل يوم واحد من تاريخ الدعوى التي كانت ستعقد واطلب فيها قضائيا طلاقي، لكن ايمن الذهبي حضر ووقع أوراق الطلاق.

عن مشاعرها قالت: لم اكن سعيدة ولم اكن حزينة بل متبلدة تماما كنت في حيرة شديدة لان الطلاق يعني فشل علاقتي الزوجية ولذلك امر الآن بمرحلة عدم اتزان لكن الناس في كل مكان تقف بجانبي وتشد من ازري لاعود اقوى وافضل، كنت انظر للعشرة والاولاد والاحترام المتبادل بيني وبين ايمن. والولدان في حوزتي وانا المسؤولة عنهما. هل تفكرين في الزواج من جديد؟ تقول اصالة: مشغولة الآن بأولادي ولا اعرف ماذا بشأن المستقبل ولا احب ان اتحدث عن شيء في علم الغيب.

عن تقييمها لفترة زواجها قالت: اراها تجربة فاشلة جدا، و«شام وخالد» هما اهم شيء خرجت به من تلك التجربة، وهما يساويان ما هو اكثر من علاقتي الزوجية على مر 14 عاما.

كيف استقبل خالد وشام خبر الطلاق؟ تقول من الطبيعي ان يتضايقا واحاول جاهدة ان اخفف عنهما وطأة الحزن، فهما شكل من اشكال انتصاري في حياتي.

ما هي الصفة التي اثرت على مسيرتك سلبا لانك لم تتحل بها في حياتك؟ قالت اصالة لم اتوقع اشياء كثيرة لذلك كانت صدمتي شديدة وبصراحة كل شيء حدث معي منذ ثمانية اشهر حتى اليوم جعلني اشعر ان عمري الذي عشته خلال (35 سنة) لم ار فيه اشخاصا يكرهون ويحاربون الآخرين بهذا الشكل ورغم